

متى يتحول خطاب الكراهية إلى خطاب خطير؟ نظرة إلى كينيا وراوندا

-الهكاهة التي تبدأ قريباً للمذيع جوشوا أراب سانغ تطرح أسئلة جوهرية حول العلاقة بين الكلمات والعنف. هذا ما تناقشه كاثرين بروس لوكهارت في هذه الهادة.



خطاب الكراهية، أو **الخطاب** الذي يحطّ من قدر الناس على أساس عضويتهم في جماعة، لظالها قد أقلق صانعي القرار، وتسبب في جعل حدود حرية التعبير محطّ إعادة تداول مستهرة. المناظرات حول خطاب الكراهية تتصدر عناوين الصحف بانتظام، بحيث تشتغل بعض حالاتها الحديثة المظاهرات الهادفة للمثليين في الجنازات العسكرية من قبل كنيسة **ويستبور** الموهمانية، وقيام رئيس رابطة الشباب في حزب الموتر الوطني الإفريقي، جوليوس ماليها، بالترويج لغنية «أطلق النار على البوير» (البوير: تحيل بصورة عامة إلى جماعة البيض في جنوب إفريقيا). على الرغم من أن استعمالات كهذه لخطاب الكراهية تسبب إساءات معتبرة، فإنها لا تؤدي دوماً بشكل مباشر إلى إثارة العنف. الدارسون المهتمون بالبحث حول حرية التعبير يبذلون محاولات متزايدة لتبيين متى يتحوّل خطاب الكراهية إلى «خطاب خطير»: أي خطاب له «فرصة معقولة في تحفيز أو تضخيم العنف من قبل مجموعة ضد أخرى». لقد خرجت عالمة السياسة **سوزان بينيش** بخمسة متغيرات نوعية أساسية لتمييز خطورة الخطاب، لتعرض نموذجاً لتحليل دراسات الحالة الخاصة بخطاب الكراهية. تتضمن هذه المتغيرات مستوى التأثير الذي يمتلكه المتحدث، ومخاوف الجمهور، إذا ما كان فعل الخطاب يفهم كدعوة إلى العنف أم لا، السياق الاجتماعي والتاريخي، والطريقة التي ينتشر عبرها الخطاب.

راوندا وكينيا، كلتا الدولتين اللتين عانيتا من عنف ملحوظ خلال العقدين الفائتين، تعتبران حالتني دراسة مفيدتين لتبيين متى وكيف يمكن أن يتحوّل خطاب الكراهية إلى خطاب خطير. الدور التحريضي لهيئة الراديوإذاعة وتلفزيون لير دي ميل كولين (راديو RTL) في الإبادة

الجماعية في راوندا هو أمر **ثم ثوبقه** على نطاق واسع، ويقدم مثلاً حاسماً عن الخطاب الخطير. «الراديو شجّع الناس على المشاركة لأنها قالت بأن العدو هو التوتسي» «كها علق أحد الناجين من الإبادة». «لو أن الراديو لم تعلن النشياء، لها كان الناس قد انخرطوا في الهجمات».

هذه الرؤى قد تم تدعيمها منذ ذلك الحين بالدلائل الكمية التي أظهرت كيف أن خطاب الكراهية من قبل راديو RTLM زاد المساهمة في أعمال عنف الإبادة. في دراسة عن راوندا، استخدم عام السياسة من جامعة هارفرد دافيد ياناجيزاوا-دروت قواعد بيانات عن عنف الإبادة الجماعية من أكثر من ألف قرية ليحدد أثر تغطية الراديو على المشاركة في العنف. **النتائج** التي توصل إليها لها مفعول إرشادي للباحثين الذين يدرسون خطاب الكراهية. فقد ازداد العنف الهندي بمعدل خمس وستين بالمئة والعنف المنظر بنسبة سبع وسبعين بالمئة لدى المجتمعات التي كان لديها تغطية كاملة من الراديو. بصورة عامة، يقدر عالم السياسة المذكور أن تسعة بالمئة من قتلى الإبادة الجماعية، أو ما يعادل قتل خمس وأربعين ألفاً من التوتسي، يهكّن عزوه إلى أعمال عنف قام بالتحريض عليها راديو RTLM. هذه الإحصائية تشير إلى قوة الخطاب الخطير في ترجمة الكلمات إلى أفعال يمكن أن تكون نتائجها مهيبة بالنسبة لأولئك الذين يعيشون في بيئات خطيرة.

للحوول دون الخطاب الخطير، من الواجب معالجة الجناة - وهي مهمة تتطلب أدلة ملموسة تظهر بأن الخطاب يهكّن يقود إلى العنف. هناك سوابق قانونية لهذا، ومنه المحكمة الجنائية الدولية الخاصة براوندا، حيث وجد المدعون العاهون أن أفراد ينتهون إلى راديو RTLM مذبذبون بالدعوة «جهازة لإبادة مجموعة التوتسي الإثنية». المحكمة الجنائية الدولية تتعامل حالياً مع أول حالة لديها من الخطاب الخطير والمهتور **بهاذيع الراديو الكيني** جوشوا أراب سانغ. فبعد عنف ما بعد الانتخابات الواسع في عامي 2007 و 2008، كان سانغ واحداً من أربع كينيين تمّ استدعائهم للمحاكمة من قبل محكمة الجنايات الدولية على أساس جرائم ضد الإنسانية. سانغ الذي يعمل مذبذباً في إحدى الراديوهات الناطقة بلغة الكالينجين (إذاعة كاس Kass) هو المدعى عليه الوحيد الذي ليس سياسياً (الرئيس الحالي أوهورو كينياتا ونائب الرئيس ويليام روتو أيضاً قيد الاتهام)، بما يجعل حالته مثيرة للاهتمام للباحثين المهتمين بحرية التعبير. وقد تم توجيه تهمة لسانغ تشتمل القتل، التهجير والنقل القسري للسكان، والإضطهاد.

محكمة سانغ التي تبدأ في الثامن والعشرين من مايو/أيار 2013 هي اختبار حقيقي لقدرة محكمة الجنايات الدولية على إثبات الارتباط بين الخطاب والنفعل العنيفة. حالة سانغ تبدو أنها تحقق الشروط المطلوبة في نموذج (العالمية) بينيش كهنال على الخطاب الخطير. كهنال، يمتلك سانغ نفوذاً كبيراً ضمن مجتمع الإثنية الكالنجية. فبرنامج يصل يومياً إلى **جهور** كيني من أربع ملايين ونصف إضافة إلى مستمعين آخرين من الشتات الكالنجي. كما أنه كان لجمهوره مظالم حرجة بحيث أنهم كانوا مؤمنين بأن الانتخابات تمّ تزويرها ضد رايبلا أودينغا المرشح المدعوم من معظم الكالنجيين. أسلوب خطاب سانغ يمكن أيضاً المجدالة بأنه دعوة إلى استخدام السلاح. فهو متصل **بعبارة** مثل «لقد بدأت الحرب» و«الناس جهازة الحليب» يجب «أن يقصوا العشب»، وهي مصطلحات محلية تشير إلى الكالنجيين الذين يربون الماعز (وهي جهازة سانغ الإثنية) وجهازة الكيكويو المزارعة (وهي الجهازة الإثنية التي تم استهدافها من قبل داعمي سانغ). السياق الاجتماعي-التاريخي كان محابياً أيضاً للصراع حيث أن كينيا كانت قد خبرت العنف خلال كل **انتخابات** منذ 1992، وكان الكالنجيون والكيكويو لفترة طويلة متنازعين حول الأراضي. بالنهاية، الراديو هي وسيلة نافذة من وسائل الاتصال في كينيا، فهي وسيلة الاتصال الأساسية المتوفرة باللغات المحلية الإقليمية، ولذلك فهي أكثر سهولة للمال من غيرها من وسائل الإعلام من قبل المواطنين النقل تعليمياً والذين يعيشون في المناطق الريفية.

على الرغم من أن حالة سانغ تبدو أنها تلائم التصنيف ضمن الخطاب الخطير، فإن النتيجة المحتملة لمحاكمته بعيدة كل البعد عن القطعية. بخلاف حالة راديو RTLM في راوندا، هناك القليل فقط من التسجيلات من البرنامج الذي كان يذاع على راديو كاس (برنامج سانغ) خلال الانتخابات. كما أن خطاب الكراهية **بحسب** هيوهان رايتس واتش، صدر بالغالب عن ضيوف متحدثين، وليس مذبذبين، بما يجعل خطوط تحديد الذنب ضبابية. يعاند سانغ بخصوص براءته كما أنه استقدم محاججات متعلقة بحرية التعبير للدفاع عن نفسه. فكها تقتبس كيث سوميرفيل في كتابها راديو بروباغاندا وإذاعة الكراهية لعام 2012، يجادل سانغ بأن حكماً عليه بالذنب سيكون له أثر ضار على حرية التعبير: «إذا تم اقتيادي إلى لاهاي مع أنني أعلم بأنني كنت أقوم بعلمي بهونية، وهذا الذي يكونون يقولونه للصحفيين» نتيجة محاكمة سانغ من المحتمل أن يكون لها أثر كبير على حرية القنوات المحلية في كينيا، كما أنها ستقدم مساهمة لفهم أوسع عن الخطاب الخطير في سياقات عنيفة.

في النهاية، هناك ضرورة لهزيد من البحث والمناظرات لتحديد الفرق بين خطاب الكراهية والخطاب الخطير. سواء في راوندا، كينيا أو بلدان أخرى قد خبرت مؤخراً عنفاً هائلاً، فإن توضيح صنف الخطاب الخطير هو مجهود جوهرى هام. تحديد متى ولماذا وكيف يخدم الخطاب كهنسة

للغف سيظل قضية شديدة التحدي لكن جوهرية في المناظرات حول حرية التعبير والجهود الهبذولة لكبح جهاز العنف.

كاثرين بروس-إنغلهارت هي من دارسي برنامج داريندورف. حصلت على شهادة الهاجستير في الدراسات الإفريقية من كلية سانت أنتوني في جامعة أوكسفورد. عملت كصحفية في كندا وجنوب أفريقيا، كما أنها أجرت بحثاً وبرهجة مع منظمات غير حكومية تعمل على حرية التعبير في ناهيبيا، نيبال وكندا.

منشور بتاريخ أبريل 26, 2013